حلف شمال الاطلسي (دراسة في النشأة والتوسع)

م. سعد رزيج إيدام
جامعة بغداد–كلية الفنون الجميلة

المقدمة

كتب بريزنسكي في كتابه (الفوضى العالمية) وهو يستشرف مستقبل العالم ان اهمية القوة العسكرية لن تتراجع الى مستويات دنيا بالرغم من تصاعد اهمية القوة الاقتصادية، هذا يعني ان البشرية سائرة باتجاه توطيد دعائم دفاعية في عالم ينحدر يوماً بعد اخر نحو نزاعات ذات مستويات متباينة والاداة الحاسمة في كل ذلك هو الاداة العسكرية.

ان ظاهرة الاحلاف العسكرية جاءت استجابة لرغبة القادة السياسيون لتحقيق نوع من الامن اما ان يكون مفقود يسعون لاسترداده او موجود يحاولون تعزيزه ، وقلة منهم هدفت من وراء ذلك الاستيلاء والسيطرة على الاخرين، ولا يخرج حلف شمال الاطلسي عن هذه القاعدة بل يثبتها لاسيما في المرحلة الاولى لنشاته.

ومع التطور الذي اصاب العلاقات الدولية ولمراحل زمنية متتابعة تطور الحلف ايضاً من حيث الاهداف والوظائف، حتى صار اقرب الى تكتل لتحقيق اهداف ضخمة تتناسب والضخامة التي طرآت على معنى الامن في المفهوم الغربي، ويتمدد على وفق رؤيا جديدة تتخذ من الحرب الاستباقية ستراتيجية ناجعة لتحقيق الامن.

وطبيعي ان يلاقي هذا التحول الذي طرأ على الناتو من حيث التطور والتوسع موقفاً من الطرف الاخر (روسيا) التي كانت على الدوام تمثل جانب من المعادلة الامنية في العالم، ومن المنطق ان يكون هذا الموقف متلائماً مع الظرف الدولي والداخلي لهذه الدولة التي تعيش حالات من الضعف الاقتصادي في مرحلتها الانتقالية.

ومن اجل ايضاح كل ذلك جاءت هذه الدراسة (حلف شمال الاطلسي دراسة في النشأة والتوسع) وبهيكلية تراتبية وعلى فصلين . الاول تناولنا فيه نشأة الحلف وتطور وظائفه ومن خلال مبحثين، عالج المبحث الاول منه نشأة وتطور الحلف ، والثاني الوظائف التي انيط به تحقيقها في حين. بحثنا في الفصل الثاني توسع الحلف والموقف الروسي من هذا التوسع ايضاً من خلال مبحثين تضمن الاول منه توسع الحلف في حين بين الثاني الموقف الروسي من هذا التوسع.

وجاءت الخاتمة لتحوي مجموعة من الاستنتاجات خلصنا بها من هذه الدراسة.

الفصل الاول: نشأة وتطور الحلف

المبحث الاول: نشأة الحلف

ولد حلف شمال الاطلسي عام ١٩٤٩ استجابة لمجموعة تحديات كبرى ظهرت على الساحة الاوربية في اعقاب الحرب العالمية الثانية، واقترنت تلك الولادة بمستوى التفكير والادراك الاوربي لمظاهر الخطر الامني الجديد المتمثل في تحول الاتحاد السوفيتي الى قوة عظمى ذات قدرات عسكرية هائلة، ومستندة على ايديولوجية عالمية متعارضة الى حد بعيد مع مفاهيم العالم الغربي.[١]

ويبدو ان الاجواء الدولية التي سادت عقب الحرب العالمية الثانية قد جعلت الطريق سالكاً لاقامة احلاف دولية تضفي صفة من الواقعية على ما افرزته تلك الحرب من نتائج سياسية وعسكرية واقتصادية، ولعل اهم ما ادخلته الامم المتحدة على الساحة الدولية كانت المعادلة الشرعية التي تستند على اركان ثلاثة هي: احكام القانون الدولي، والقرارات الدولية الصادرة عن مجلس الامن، والالية التي يمثلها هذا المجلس من اجل تنفيذ القرارات في ضوء القانون الدولي[٢]، ومثلت هذه الاركان صورة متكاملة ارتضتها الدول الكبرى لمنع وقوع حرب عالمية ثالثة، ووفقاً للمبدا الذي اقيم على اساسها هدف حفظ الامن والسلم الدوليين على وفق ميثاق الامم المتحدة (قرار التوحد من اجل السلام) الصادر عام ١٩٥٠ [٣].

ويبدو ان التفسير العملاني لميثاق الامم المتحدة وعلى وفق الرؤوى الغربية قد بين ان عملية الدفاع عن النفس كما تنص عليها المادة (٥١) من الميثاق والاجرات الزاجرة في حق أي دولة من الدول المخالفة التي يمكن ان تشكل تهديداً للسلم وخرقاً له او تقوم بعمل عدواني ضد أي دولة اخرى (المادة ٥٣) ، قد اوجد آلية معينة لتطبيق تلك المواد وايقاع العقاب عن طريق الردع، كل هذا قد اوجد المبررات اللازمة لانشاء حلف شمال الاطلسي ، باعتباره ضمن المنظمات الدولية التي اختصت بالدفاع الجماعي عن النفس.

---

[١] نزار اسماعيل الحيالي ، دور حلف شمال الاطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد ، ١٩٩٩، ص ٣٣.

[٢] شفيق المصري ، الاطلسي والمعادلات الجديدة ، مجلة شؤون الاوسط ، مركز دراسات الاستراتيجية ، بيروت ، عدد ٨٣، ١٩٩٩، ص ١٧.

[٣] المصدر نفسه ، ص ١٧.

ومن اجل معرفة المديات السياسية التي اخذها هذا الحلف يصبح لزاماً علينا دراسة نشاته وتطوره التاريخي، ويبدو ان هذا الامر قد سار على وفق سياق معين ومدروس، حكمته في مراحله الاولى والاخيرة. جملة معطيات تاريخية وسياسية واقتصادية وحتى جغرافية رسمت فيما بعد ملامحه الرئيسة.

ان البواكير الاولى لهذا التكتل قد بدات على شكل معاهدات وقفت بين الدول المتحالفة في الغرب فكان اتحاد اوربا الغربية U.E.O بموجب معاهدة بروكسل في عام ١٩٤٨ [١]، والتي انضمت اليها فيما بعد المانيا الفدرالية وايطاليا.

ويبدو ان الانطلاقة الحقيقية لشكل حلف شمال الاطلسي كان من واشنطن في ٤ نيسان ١٩٤٩، حينما اتفقت (١٢) دولة مستقلة على تاكيد دفاعها المشترك وهي (الولايات المتحدة الامريكية، كندا، بريطانيا، فرنسا ،هولندا، بلجيكا ، الدنمارك، النرويج، ايسلندا، البرتغال، لوكسمبرك وايطاليا) ووقعت ميثاق الحلف.

وقد علق في ذهن القائمين على الميثاق أنهم انشاوا منظمة سياسية عسكرية بهدف مواجهة التهديد الروسي والشيوعية حيث اضحى الحلف فيما بعد النتيجة الطبيعية للعلاقات المتينة بين الديمقراطيات الغربية ، وارتكز في الاساس على التعاون بين اعضائه للدفاع عن اوربا الغربية وامريكا الشمالية ، ومنذ تلك اللحظة اضحى ايضاً المحفز الرئيسي للحرب الباردة وعامل انقسام اوربا الى كتلتين.

لقد عمل الحلف ومنذ بداياته على ايجاد تعاون عسكري مشترك وتقارب سياسي واقتصادي بين اعضائه، والتوقيع على اتفاقية انشاء (الناتو) والتي لم تتضمن في بداياتها ابقاء قوات الولايات المتحدة في اوربا ، او حتى انشاء هيكل عسكري كامل ، ا ان تطورت الاحداث الدولية جعلت من كل ذلك امراً ضرورياً ، فالحرب الكورية (١٩٥٠– ١٩٥٣) قد زادت من مخاوف الغرب من عدوان سوفيتي ولهذا السبب اندفعت دول اخرى الى الالتحاق بالحلف كتركيا واليونان وتبعتهم المانيا ١٩٥٥، وعلى الجانب الاخر اندفع الاتحاد السوفيتي لانشاء تكتل لمواجهة عسكرة الغرب واتخذ هذا التكتل شكل تجمع اقتصادي عبر

[١] ضم هذا الاتحاد خمس دول اوربية (فرنسا، بريطانيا ، وبلدان البنلوكس الثلاث (Benelux) للمزيد من التفاصيل ينظر : اليساندرو فيجيس، مستقبل الناتو وتوسعه شرقاً وفي البحر المتوسط، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة ، العدد ١٥٢، ٢٠٠٣، ص٢٠.

عنه بمجلس التعاون الاقتصادي المشترك والذي تحول الى حلف عسكري عرف بحلف وارشو (C.A.E.M.OU COMECON)[١].

لقد فرضت معطيات عدة التوجه السياسي والعسكري على الساحة الاوربية وليس اقلها النتائج التي تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية والتي كان اهم تداعياتها ضعف البنية الاقتصادية لعموم اوربا مقابل تعملق قوتين برزتا الى الوجود وبقوة على الساحة الاوربية ولكن بالتدريج هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، هذا الواقع العسكري الجديد رافقه بل دعمته قوة اقتصادية هائلة تمتعت بها الولايات المتحدة امام انهيار شبه تام لدول اوربا الشرقية، الامر الذي رسم صورة ذات مستويات متعددة لطبيعة العلاقات الدولية الجديدة وتمثلت بالاتي، الاول السياسي والذي تمحور حول بروز مشكلات جدية بعد الحرب الثانية تمثلت بتحديد المستقبل السياسي لشكل القارة الاوربية بشكل عام وتحديد الهوية السياسية لالمانيا المقسمة بفعل الحرب.[٢]

فضلاً عن الصدمة التي تلقتها التوجهات الغربية بالعودة باوربا الى الشكل السياسي قبل الحرب ، وتركتها تختار نظمها السياسية دون تدخل، الا ان السوفيت قد رفضوا أي تغير للبيئة السياسية التي خلفتها هذه الحرب ، فتجمد الوضع السياسي هناك على واقع التقسيم .[٣]

الثاني الايديولوجي: لقد اضحت الشيوعية الخطر الاول على الامن الاوربي بعد انتهاء الحرب الثانية والقضاء على النزعات النازية والفاشية في اوربا، ومما هول من هذا الخطر الطريقة التي وظف فيها السوفيت هذه الايديولوجية لخدمة اغراضهم الاقليمية والعالمية المتمثلة في استغلال تواجدهم العسكري في بلدان وسط وشرق اوربا من اجل ايصال انظمة حكم شيوعية فيها وجعلها تابعة لهم، وبهذا يكون السوفيت قد اوجدوا سلاحاً

---

[١] شفيق المصري ، مصدر سابق ، ص ٢١.

[٢] كاظم هاشم النعمة، الوجيز في تاريخ العلاقات الدولية ، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية، ١٩٩٢، ص ٧٨٩-٧٩٤.

[٣] روبرت ماكنرا ، ما بعد الحرب الباردة، ترجمة محمد حسين يونس، دار الشروق للنشر، عمان، ١٩٩٠، ص ٢٨.

ايديولوجياً لمواجهة فكرة بنيت على اسس اخرى في نواحي حياتية مختلفة سياسية واقتصادية ، وهكذا تطور الامر الى صراع ايديولوجي.[١]

الثالث الاقتصادي : لعل اهم تداعيات الحرب العالمية الثانية هي اضعاف اوربا بسبب تفاقم مشاكل عديدة اجتماعية واقتصادية كبرى، كالبطالة والتضخم وانهيار مستويات الانتاج وتدمير البنى التحتية ، وهي نقاط ضعف هامة تسهل عملية الانقضاض عليها من قبل الشيوعية، ومن اجل منع ذلك طرح مشروع مارشال ١٩٤٧ لاعادة اعمار اوربا[٢]، والذ كان بمثابة اداة غير عسكرية لاحتواء السوفيت عن طريق احاطته بسلسلة من الاحلاف والقواعد العسكرية لمنع انتشار الشيوعية في اوربا ، وازاء ذلك تنبه السوفيت لهذه التحركات فعملوا على انشاء مكتب الاستعلامات الشيوعية (الكومنفورم) والذي كان من بين اهم اهدافه نشر الشيوعية في اوربا ودعم احزابها في بلدان العالم المختلفة.[٣]

الرابع الامني: عد الامن الهاجس الرئيسي واخطر التحديات التي واجهت اوربا الغربية بعد الحرب الثانية، لاسيما بعد ان ادخل السوفيت ما يقارب (١٧٥) فرقة عسكرية مرفقة باستراتيجية قائمة على التمهيد بالانتقام من دول اوربا الغربية، اذا ما اقدمت واشنطن على ضرب السوفيت نووياً، لاسيما انهم كانوا يشعرون بعامل الوهن نتيجة لعدم وصولهم بعد الى اسرار الذرة.

لقد بان وهن اوربا الامني اكثر بعد توقيع معاهدة بروكسل بسبب ضعف القدرات العسكرية التي تمتلكها مقارنة بالسوفيت، لذا اتجهت اوربا الغربية الى التحالف مع الولايات

---

(١) بيير لولوش، الوحدة الالمانية وتحديات ما بعد يالطا، ترجمة سوسن حسين، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام القاهرة ، العدد ١٠٢، ١٩٩٠، ص٢٥.

(٢) لقد خصص لهذا المشروع (مارشال) ٢٢ مليار دولار للفترة ١٩٤٧-١٩٥٢، وبالرغم من ان هدف المشروع المعلن هو اعادة اعمار اوربا، الا ان اغراض اخرى سعت اليها الولايات المتحدة من بينها: تحويل اوربا الى سوق للمنتجات الامريكية، وربط اقتصاديات تلك البلدان بعجلة الاقتصاد الامريكي وجعله تابعاً له، للمزيد من المعلومات ينظر نجلاء محمد نجيب، مستقبل العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد الاوربي ، مجلة السياسية ، مؤسسة الاهرام، القاهرة ، العدد ١٢٧، ١٩٩٧، ص ١٣٩.

(٣) رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين ، الجزء الثاني ، المؤسسة الجامعة للنشر، بيروت ، ١٩٨٣، ص ١٣٣.

المتحدة والتي كانت هي الاخرى تواقة الى مثل هذا التوجه من اجل تثبيت نفوذها السياسي والاقتصادي في اوربا امام القوة السوفيتية.[١]

وهكذا يتبين ان المستويات الاربعة اعلاه والتي هي جزء من عملية النشوء والتطور التاريخي للحلف، قد وضعت في ذات الوقت ملامح العلاقات الدولية ليس فقط على المستوى الاوربي، بل وعلى المستوى الدولي ايضاً طيلة عقود من الزمن انقسم خلالها عالمنا الى كتل اقتصادية وسياسية وعسكرية وقعت تحت نفوذ القوتين العظميين، وحددت تبعاً لذلك نوع العلاقة لكل دولة تجاه الدول الاخرى ولم يبقى لهامش الاستقلالية في التعامل الخارجي الا النزر القليل.[٢]

ومع نهاية حقبة الحرب الباردة ونتيجة للتحولات التي طرات على الساحة الدولية حصل تبدل مهم جداً في البنية الامنية الاوربية يمكن تلمسه في نواحي عدة منها:اختفاء الانقسامات والتناقضات السياسية والايديولوجية والعسكرية، فضلاً عن التحسن الذي ظهر على الوضع الامني لدول غرب اوربا بعد اختفاء المواجهة العسكرية التقليدية والنووية مع الشرق اثر انهيار حلف وارشو وتفكك الاتحاد السوفيتي وظهور روسيا الاتحادية كوحدة سياسية لم تعد تشكل خطراً امنياً بنظر اوربا كما كان يمثله الاتحاد السوفيتي.[٣]

---

(1) John Lewis Gaddis, The united State and the origins of the cold war , 1945-1947, New York , Columbia university press , 1972, pp. 40-45.

(٢) لقد تزعمت فرنسا نهج الاستقلالية عن حلف شمال الاطلسي وكان هاجسها في ذلك امتلاك قوة نووية مستقلة عن المضلة النووية الامريكية، وتعود جذور هذه النزعة الاستقلالية لفرنسا الى النصف الاول من الخمسينات ، عندما عملت الولايات المتحدة على دعم البرنامج النووي البريطاني ولم تفعل الشيء ذاته معها، تحت ستار منع انتشار الاسلحة النووية، وهنالك اسباب سياسية اخرى لعل اهمها قيام الولايات المتحدة باستبدال عقيدة الحلف من الانتقام الشامل الى الحرب المحدودة، والذي عنى لفرنسا انه تراجع امريكي عن الحماية النووية للدول الاعضاء فيه ، لذا اثرت فرنسا تغير نهجها الخارجي في التعامل مع الولايات المتحدة على الاقل من الناحية الدفاعية والذي تجسد في انسحاب فرنسا من الجناح العسكري للناتو عام ١٩٦٦. للمزيد من التفاصيل ينظر : نزار الحيالي ، مصدر سابق ، ص ٤٨.

(٣) روسيا وحلف الاطلسي، نشرة تقديرات استراتيجية ، الدار العربية للنشر والترجمة، القاهرة، العدد ١٦، ١٩٩٥، ص٣٧.

المبحث الثاني: وظائف الحلف

مما لاشك فيه ان لكل تكتل مهما كان شكله سياسي او اقتصادي او عسكري مجموعة من الوظائف يعمل على تحقيقها ، والتي قد تاخذ شكل اهداف معينة وتتبرمج وفقاً لاليات تخدم التوجهات التي تشكل من اجلها هذا التكتل، ولا يخرج عن هذه القاعدة حلف شمال الاطلسي بعده اكثر فاعلية من غيره من التشكيلات السياسية او التجمعات الاقتصادية العديدة، التي قد تضعف وتقوى واحياناً تتلاشى لاسباب عديدة ليس اقلها ضعف في اليات التنفيذ ومصداقية الوظائف التي من اجلها انشات.

وهنا يمكن ان نسجل ومن خلال قراءة دقيقة للاحداث والتطورات التي سبقت ورافقت هذا الحلف مجموعة من الوظائف اوكلت اليه لتحقيقها تتفصل بالاتي:

اولاً: الوظيفة العسكرية والامنية:

لاشك ان الهدف الاساسي لنشوء الحلف هو هدف امني يغلب عليه الطابع العسكري ، وبنى على فرضية ردع واحتواء الخطر الشيوعي في اوربا وامريكا الشمالية ، والمناطق الواقعة بين شمال الاطلسي اضافة الى تركيا واليونان.[١]

وانسجاماً مع هذه الوظيفة فقد حددت معاهدة واشنطن المهام التي يطلع بها الحلف في هذا الجانب من خلال المادتين (٣-٥) من المعاهدة، حيث اشارت المادة الثالثة الى ضرورة قيام الحلف بتدعيم وتطوير القدرات العسكرية الفردية والجماعية للدول الاعضاء وتقوية نزعة المقاومة ضد أي عدوان خارجي محتمل، في حين اشارت المادة الخامسة الى عد أي عدوان مسلح يقع على دولة من دول الحلف عدواناً ضد كل الدول المتحالفة وبالتالي يصبح لزاماً على جميع دول الحلف اتخاذ ما تراه ضرورياً من تدابير جماعية لمقاومة ذلك العدوان عن طريق استخدام القوة العسكرية.

ويبدو ان فرضية الردع العسكري لتحقيق الامن، قد واجهتها عقبات عديدة ليس اقلها الرغبة الاوربية في ايجاد هوية امنية مستقلة والتي تجسدت عملياً منذ وقت مبكر عام ١٩٥٤ من خلال تاسيس قوة دفاعية اوربية اوكلت اليها مهمة الدفاع عن الامن الاوربي بوجه الاخطار التي يتعرض لها من اطراف اوربية معادية ، وقد اطلقت على هذه القوة اسم (اتحاد اوربا الغربية)[٢]، وبعد التطورات التي شهدتها الساحة الدولية في نهاية

---

[١] نزار الحيالي ، مصدر سابق ، ص٤١.

[٢] عباس هاشم عزيز ، الحوار الاوربي المتوسطي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد، ٢٠٠١، ص ١٣٧.

الثمانينات وبداية التسعينات اكتسبت المحاولات الاوربية صيغة اطر مؤتمر الامن والتعاون الاوربي.[١]

ان اقامة حلف شمال الاطلسي له ما يبرره من حيث حجم التهديدات المفترضة لدول اوروبا الغربية و الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، وكما ان الاضرار المحسوبة اذا ما وقعت الحرب كان هو الاخر الحجة المنطقية التي سبقت اقامة الحلف العسكري، لكن التحولات الجديدة التي لامست البيئة الاوربية قد اعطت انطباعاً اولياً لدى الكثير من السياسيين مفاده ان التهديد العسكري قد ولى بتفكك المنظومة الشيوعية، لذا لم يعد ضرورياً بالنسبة للبلدان الاوربية الاستمرار باستراتيجية الدفاع والردع العسكريين، فضلاً عن ذلك ان التكلفة المادية والمعنوية لتواجد قواعد عسكرية وتكاليف تشغلها قد ارهقت ميزانيات الدول وانعكست سلباً على اقتصادها .

وبناء على كل ذلك ظهر راي يدعو الى حل الحلف وهذا ما تبنته فرنسا، حيث اشار الرئيس الفرنسي السابق (ميتران) اثناء قمة الحلف في روما عام ١٩٩١، (ان الحلف ليس شيئاً مقدساً بل هو عرضة للتغير وانه ليس بديلاً عن اوربا)[٢].

وفي مقابل هذا الاتجاه انبرى اتجاه اخر تشكل على راي مخالف لذلك ويدعم استمرار هذا الحلف ويقوم على خطر التحديات الجديدة التي تواجه الامن الاوربي والتي تتطلب وجود مؤسسة عسكرية لمواجهتها، جوهر هذه التحديات تتأتى من دول صغيرة وضعيفة تعاني من صراعات داخلية ذات اصول عرقية او دينية قد تتطلب قوة عسكرية رادعة لحسمها، وهذا الراي تزعمته الولايات المتحدة الامريكية ومعها دول عديدة كبريطانيا وهولندا ، وهو يرى في الوقت نفسه ضرورة الابقاء على العلاقات الامنية الدفاعية بين واشنطن وبقية العواصم الاوربية الداخلة في الحلف.[٣]

---

(١) ومن الجدير بالذكر هنا ان قوة اتحاد اوربا الغربية لم يبرز سياسة اوربية امنية مستقلة بسبب ارتباطه المباشر بحلف شمال الاطلسي حيث عد على الدوام ، الذراع العسكري للحلف في اوربا ، وقد انشا هذا الاتحاد بموجب اتفاقية باريس في ١٩٥٤/١٠/٢٣، بالاشتراك مع فرنسا وبريطانيا وايطاليا واسبانيا وهو جهاز عسكري اوكلت اليه مهام دفاعية للمزيد من التفاصيل ينظر:

Defining NATO'S Aims – The Economist . U.S.A , April , 1991, p. 64.

(2) Arthur CyR, Turkey and the west , Perceptions, Journal of International Affairs , Vol1, no. 3 , step 1996, pp. 57-58.

(3) Uif Hlertonssous , Sweden's foreign policy strategic Analysis , Vol XIX, No. 1, April , 1996, p. 83.

ثانياً: الوظيفة السياسية

مما لاشك فيه ان لحلف شمال الاطلسي وظائف سياسية عديدة فكان بمثابة المنبر السياسي الذي يمكن ان ترجع اليه الدول الاعضاء لحسم خلافاتها ونزاعاتها سلمياً او عن طريق التشاور الجماعي ، فضلاً عن ذلك فقد انيط بالحلف دور سياسي في ردع السياسات المتطرفة والدكتاتورية لبعض الاعضاء من خلال الضغط السياسي على تلك الحكومات ذات النهج الشمولية بالتحول الى دول ديمقراطية _(المانيا وايطاليا)[١].

ومن خلال طبيعة العلاقات العامة بين الدول الاعضاء للحلف يظهر ان الحلف لم يلغي سيادة الدول بوصفها وحدات سياسية ذات سيادة ، وهذا الامر انعكس على مسالة نشوب الخلافات والنزاعات بينها على المصالح، وخلاف تركيا واليونان حول قبرص ، وبريطانيا وفرنسا بشان السوق الاوربية، والولايات المتحدة وفرنسا حول مسالة الدفاع الاوربي خير مثال على ذلك، وحتى لا تتطور هذه الخلافات الى حالة نشوب الحرب ، فقد اشارت المادة الاولى من المعاهدة المنشاة للحلف على ضرورة التزام الدول الاعضاء بالامتناع عن استخدام القوة او التهديد بها ، والتعهد بتسوية الخلافات والنزاعات الناشبة بينهم بالطرق السلمية، واشارت المادة الرابعة الى اعتماد مبدا التشاور الجماعي بين الحلف في حالة التهديد للكيان الاقليمي او الاستقلال السياسي او الامني للدول الاعضاء.[٢]

وهكذا يبدو ان الحلف قد أنشا اصلاً وفقاً لتوافق سياسي لتدعيم ركائز الانظمة السياسية القائمة للدول المشاركة فيه وابعادها عن المشاكل السياسية وبما يخدم تحقيق الاستقرار السياسي في اوربا.

ثالثاً: الوظيفة الاقتصادية

لعل من البديهي القول ان أي حلف عسكري يبنى على وظائف امنية تخص الدول المنضوية تحت خيمته وتقوده عقيدة عسكرية واضحة مهمتا درء العدوان عن طريق تبني سياسة دفاعية واضحة، ولا يخرج حلف شمال الاطلسي من هذه القاعدة المنطقية لنشاة الاحلاف، ولكن يبدو ان هذا الحلف قد انيط به تحقيق وظيفة اقتصادية ايضاً تتمثل

---

[١] محمد كريم المشهداني ، الاحلاف وتاثيرها على الامن القومي العربي ، معهد الدراسات القومية الاشتراكية ، بغداد ، ١٩٨٩، ص ٢٩.

[٢] المصدر نفسه ، ص ٣١.

بتجذير التعاون الاقتصادي بين اعضاءه ، وتحقيق الاندماج الاقتصادي بين اسواقه عن طريق تقديم العون والتسهيلات عبر الحدود.[١]

ان تحقيق هذه الوظيفة تصبح يسيرة اذا ما عرفنا ان جميع البلدان الاعضاء في الحلف تتبع نمط اقتصادي واحد وهو النمط الراسمالي والذي يساهم هو الاخر في عملية التعاون ،لاسيما انه يعتمد على مبدا الانفتاح الاقتصادي والذي يحرك الماكنة الاقتصادية في عموم بلدان الحلف، وهذه المسالة تعد داعمة للحلف، اذا ما عرفنا ان المهام العسكرية لها تكلفة اقتصادية باهظة، تتعين على الدول الاعضاء دفع فواتيرها .

ومن اجل بناء اقتصادات قوية في هذه الدائرة اشارت معاهدة واشنطن في مادتها الثانية على ضرورة قيام اعضاء الحلف بازالة الصراع والتنافس في سياستها الاقتصادية وتشجيع التعاون والاندماج الاقتصادي.

ان اقرار مثل هذه السياسة له مزايا متعددة منها ضمان وحدة الحلف وسهولة السيطرة على موارد الطاقة والمواد الخام في بلدان العالم الثالث فضلاً عن انها تعزز الدور الدفاعي والعسكري للحلف من خلال ايجاد تكتل اقتصادي وسياسي اوربي اطلسي ، قادر على دعم الوظيفة العسكرية عن طريق توزيع اعباء الدفاع الجماعي العسكري والمالي بين اطراف الحلف (اوربا والولايات المتحدة).[٢]

الفصل الثاني: توسيع الحلف والموقف الروسي منه

المبحث الاول: التوسع

بعد سقوط جدار برلين وانتهاء الحرب الباردة بدا منطقياً لكثير من الساسة ان يعيد حلف شمال الاطلسي النظر في مبررات وجوده واستمراره، لاسيما ان ولادته ارتبطت قبل خمسة وخمسين عاماً، بالتصدي لأي غزو او تهديد سوفيتي محتمل لاوربا الغربية ، لكن مبررات جديدة اخرى صاغها القائمين على امر الحلف دفعت باتجاه ابقاءه وتوسعه ليضم دولاً كانت بالامس القريب ضمن حلف (وارشو) العدو الاول للغرب.

ان عملية التوسع التي تبناها حلف شمال الاطلسي انطلقت من مبررات امنية واقتصادية وفي مقدمة هذه المبررات هي الحاجة الى اعادة بناء الهيكلية الامنية في كل

---

[١] صحيفة دير شبيغل ، الناتو بين الامس واليوم والمستقبل في ١٩٩٧/٣/٣.

[٢] نزار الحيالي ، مصدر سابق ، ص ٤٥.

المنطقة الاوربية – الاطلسية والتقدم نحو تحقيق الامن والاستقرار الاوربي وضمان اوربا ديمقراطية وامنة وموحدة[١].

وياتي الراي الذي يتبناه زبيغنيو بريزنسكي (السناتور السابق لشؤون الامن القومي الامريكي) ليؤكد على نقطة اخرى تتعلق بهذه القضية عند محاولته الربط بين ظهور الاتحاد الاوربي وبين وجود حلف شمال الاطلسي، عندما يعتبر ان امن اوربا هو اساس الوفاق فيها وان وقف التوسع يلحق الضرر بهذا الامن ، الامر الذي يستدعي الاستمرار في هذه العملية التاريخية على ان تبقى مفتوحة ، لانها تهدف الى انشاء اوربا جديدة[٢].

وتماشياً مع هذا الطرح من المبررات يدافع التوسعيون عن اراءهم بالقول "ان زوال العدو المحتمل الذي يمكن ان يشكل خطراً مباشراً على دول الاطلسي بعد انهيار حلف وارشو يصبح واضحاً ان توسيع الحلف الاطلسي يهدف من حيث الجوهر الى الحؤول دون نهوض هذا العدو مجدداً"[٣].

وغني عن القول ان هذا التوسع الذي مارسه الحلف كان يزحف على الساحة الشرقية لاوربا التي كانت في فترة الحرب الباردة ضمن حلف وارشو ، الذي قاده الاتحاد السوفيتي قبل انهياره فعلياً عام ١٩٨٩ ، هذا التنويه يقودنا الى التعرف على حقيقة اخرى تتمثل بنوايا القائمين على امر هذا الحلف والمتمثل بالولايات المتحدة الامريكية، والتي تضمر نوايا توسعية قائمة على اساس الهيمنة على القارة الاوربية باكملها تحت مبررات امنية حقيقية اوخيالية، ومما يؤكد هذا الراي هو ان نية التوسع لدى استراتيجيوا الحلف الاطلسي ، لم تكن وليدة لحظة انهيار المعسكر السوفيتي ، او حتى قبلها بمدة قصيرة [٤]،

---

[١] محمد فريد حجاج ، القوى الدولية في مطلع القرن الحادي والعشرين ، مجلة الدفاع المصرية، مؤسسة الاهرام ، القاهرة، عدد١٠، ١٩٩٥، ص ٦٥.

[٢] طلال عتريسي، توسيع الناتو، مجلة شؤون الاوسط ، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، عدد٨٣، ١٩٩٩، ص ٥.

[٣] محمد دياب ، توسيع الناتو وحرب البلقان ، اهداف استراتيجية وجيوسياسية، مجلة شؤون الاوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية ، بيروت ، عدد ٨٣، ١٩٩٩، ص ٢٧.

[٤] لقد تحدث هيلفورد ماكندر في مقالته الشهيرة (المحور الجغرافي لتاريخ) المنشورة عام ١٩٠٤ عن عملية للالتفاف حول روسيا والتوسع والسيطرة وعلى اكبر قطاع ممكن من الاراضي الطرفية (Rim land) والمحيطة بما سماه قلب العالم (Heart Land) قاصداً بذلك اور– أسيا التي تغطيها روسيا ،

بل هي سياسة امريكية حتى قبل اعتناق الساسة الامريكيون لسياسة التدخل في الساحة الدولية خرقاً لمبدأ (مونرو)[١].

وتختلف المبررات الامنية و احياناً تتجدد الى الحد التي تتوافق فيه مع المصالح العليا لدول الحلف ، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال الاستراتيجية الامنية الجديدة التي تبناها الحلف والتي تسمح له القيام بمهمات رادعة في مناطق حيوية بالنسبة للدول الاطلسية، والمساعدة في ردع الدول التي تشجع الارهاب، او التي تمتلك اسلحة الدمار الشامل والقدرات النووية، وهذا ما يجعل أي مكان في العالم عرضة للتهديد والتورط المباشر.

ويدخل ضمن هذا السياق مفهوم السيطرة المطلقة (الهيمنة) التي تسعى الى تحقيقه الولايات المتحدة عبر الاغطية الامنية للحلف، وذلك بتحويله من تنظيم عسكري ضمن مهمته الدفاع عن غرب اوربا ومنطقة الاطلسي بوجه هجوم سوفيتي محتمل الى قوة عسكرية سياسية عالمية مهمتها تحقيق هيمنة قوى العالم الراسمالي الغربي على النظام الدولي لاسيما في مناطق العالم الثالث، ويتضح هذا التحول بشكل سافر من خلال اقرار الناتو بان التحديات التي تواجه هذه الهيمنة لم تعد محصورة في اوربا، وانما في قوسين من الازمات الاول: القوس الشرقي الذي يضم دولاً اسلامية غير عربية مثل (ايران ، وافغانستان ، ودول اسيا الوسطى والباكستان) وهذا القوس يمثل منطقة عدم استقرار لاسباب كثيرة كامنة فيه (صراعات وحروب عرقية ودينية واجتماعية وانتشار اسلحة الدمار الشمل)[٢]، والثاني : القوس الجنوبي والذي يشمل الدول العربية في شمال افريقيا (مصر والسودان) أي الدول العربية الواقعة في حوض البحر المتوسط ، وهذا ايضا يمثل عنصر عدم استقرار وتهديد للامن الاوربي الاطلسي، وتساق هنا نفس الحجة الامنية بالنسبة للمناطق الاخرى من العالم والتي تدور حول مساعي بعض اقطاره لامتلاك اسلحة الدمار الشامل (ليبيا الى حد زمني قريب)، وتدهور اوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية

هذا يفسر لنا لماذا اندفعت الولايات المتحدة بالحلف نحو الشرق الاوربي بالرغم من اختفاء ما اسمته بالخطر الاحمر ، للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد دياب ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦.

[١] تبنى مونرو مبدأ عدم تدخل الولايات المتحدة الامريكية في الشؤون العالمية والاقتصار على ترتيب السياسة الداخلية واعتماد مبدأ العزلة الدولية.

[2] Rajyasri Roychowihuny, Nato's Eastward Expansions, Strategic Analysis, Vol. XIII, No. 1 , April , 1995, p.76.

التي يمكن ان تنتج حروب اهلية داخلية تنشط عملية الهجرة الجماعية فيه الى اوربا او تصعد من عمليات الارهاب الدولي ، واحياناً النزعات الاصولية الاسلامية وخلق التوترات بين الانظمة الحاكمة[١].

وعليه فان ما يخشاه الناتو من هذا الاضطراب هو احتمال قيام تكتل عربي واسلامي بين القوسين الجنوبي والشرقي، الامر الذي قد يربك الى حد كبير الامن الاوربي لاسيما اذا تبنى هذا التكتل اهداف عسكرية واقتصادية لا تاخذ بنظر الاعتبار مصالح العالم الغربي.

وهكذا يمكن القول ان هذه الفرضيات قد مست جوهر الصفة الامنية للحلفاء وفتحت الطريق لاستراتيجية عسكرية اكثر انفتاحاً لا تتقيد بالحدود الجغرافية المقررة له، وفي الحقيقة فان التحليل السياسي يدفع للاعتقاد بان الحلف يواجه ازمة او صعوبة في الاستمرار باثبات مهماته الامنية (الدفاعية) بعد انتهاء الحرب الباردة، لذا لجا مخططو الناتو للتغطية عليها عبر عملية التوسع نحو الشرق باعتبارها الضمان الاكيد للامن والاستقرار الاوربي الاطلسي، بعبارة اخرى انهم ارادوا ان يجعلوا من التوسع لضمان الامن والاستقرار مبرراً ببقاء صفة الحلف الدفاعية.

وانطلاقاً من كل هذه الفرضيات الامنية وتماشياً مع التحولات الجديدة التي شهدتها الساحة الدولية والتغيرات التي حصلت في الاستراتيجيات المقابلة، صار ضرورياً لدى الغرب بان يتمدد هذا الحلف ليشمل بلداناً اخرى عدت في الامس القريب ضمن منظومة (العدو الاول لها) ، ومما شجع على هذا الاتجاه هو رغبة عارمة لدى تلك البلدان في الانضمام للحلف لاسباب اقتصادية بالدرجة الاولى.

وهكذا فان الحلف تبنى استراتيجية التوسع نحو دول وسط شرق اوربا بوصفها استراتيجية جديدة للتعامل مع عالم ما بعد الحرب الباردة ، وان مصيره بالبقاء او التفككك يتوقف على قدرته في استيعاب هذه الدول ، بمعنى اخر ان هذه القضية كفكرة وكمشروع اضحت تحصيل حاصل لا يمكن للناتو التراجع عنها اطلاقاً.

لقد طرح مشروع توسيع الناتو لاول مرة في قمة بروكسل عام ١٩٩٤، وقد انقسمت الرؤى بين طرفين حول طبيعة التوسع واجراءاته ، حيث رات فرنسا ان يتخذ التوسع صبغة اطلسية جنوبية أي يشمل حتى بلدان غير اوربية واقعة في حوض البحر المتوسط

---

[١] نزار الحيالي ، مصدر سابق ، ص ١٠٤.

، في حين ذهبت المانيا الى حصر التوسع بصبغة اوربية اطلسية تشمل فقط دول وسط وشرق اوربا ، اما الرأي الثالث والذي مثلته الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا فرأى ان يتخذ التوسع صبغة اطلسية مطلقة تشمل حتى دول الاتحاد الروسي على ان يتم ذلك على شكل دفعات[١]، وعلى وفق شروط العضوية التي حددها الناتو في اجتماعه عام ١٩٩٥.[٢]

وغني عن البيان القول انه ومنذ قمة روما عام ١٩٩١، بدا الناتو يركز على عده منظمة للامن، حيث تحول دور الحلف من دور دفاعي الى دور متعلق بمهام التدخل في نزاعات الدول الاخرى، وقد اعلن عن تنفيذ هذا التحول بفضل التعاون بين حلف الناتو وبين الدول غير الاعضاء بالحلف ، وكذلك مع المنظمات الدولية الاخرى ، والنموذج الواضح لهذا الدور الجديد للناتو تمثل في تكوين قوة متعددة الجنسيات تحت قيادة الحلف عام ١٩٩٥ وفي اطار تفويض الامم المتحدة، وقد شملت هذه القوة الدول الـ(١٦) لحلف الناتو وكذلك (٢٠) دولة اخرى خارج الحلف، وقد اتيح لهذه القوات الدولية تطبيق اتفاقية (دايتون للسلام) وارساء اسس السلام الدائم في البوسنة[٣].

ان مبررات التوسع الجديد للحلف انطلقت من منطق الشراكة بين اوربا والامريكيين (الولايات المتحدة وكندا) وهي على حد زعم القائمون على امرها شراكة من اجل احلال السلام والاستقرار في اوربا ومن خلال رؤية اوسع لاوربا دعا الناتو الى توسيع الحلف في مؤتمر مدريد في تموز ١٩٩٧ ليضم (التشيك ، المجر وبولندا) واكد في ذات الوقت بان الحلف يترك الباب مفتوحاً لانضمام اعضاء جدد ، وبالرغم من كثرة الخلافات مع روسيا

---

[١] مصطفى نبيل احمد ، روسيا على مائدة الاطلسي ، مجلة الدفاع المصرية، مؤسسة الاهرام، القاهرة ، عدد١١، ١٩٩٥، ص ٧٦.

[٢] ان الشروط الواجب توافرها للانضمام للحلف تتمثل بالاتي:

أ. التوقيع على اتفاقيات الشراكة من اجل السلام ،ب. احترام حقوق الانسان والايمان بالديمقراطية الغربية، ج. القدرة على تحمل نفقات الانضمام وتبني عقيدة عسكرية وتسليحية غربية، د. الاستعداد للمشاركة في فعاليات الحلف والتخطيط الدفاعي المشترك وتبادل المعلومات الامنية والدفاعية مع الحلف ، للمزيد من المعلومات ينظر: ممدوح انيس فتحي، اجراءات توسيع الناتو ، المشكلات والحلول المطروحة ، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام ، القاهرة ، العدد١١٩، ١٩٩٥، ص ٧٦.

[٣] اليساندرو فيجيس ، مصدر سابق ، ص ٢٠.

حول مديات هذا الانضمام وطبيعته فقد انضمت الدول الثلاثة السالفة الذكر في(٢٣-٢٤) نيسان ١٩٩٩ في القمة الخمسين للحلف[١].

وفي قمة براغ (٢١-٢٢) تشرين الاول ٢٠٠٢ والتي عقدت لاول مرة في اوربا الشرقية وصفت هذه القمة بانها طي لصفحة من صفحات تاريخية بالتوسع في جزء كبير من اوربا الشيوعية القديمة، واعلان عن اساليب جديدة للتدخل في مختلف ارجاء العالم، ومما يميز هذه القمة توجيه دعوات لانضمام جمهوريات كانت تابعة للاتحاد السوفيتي وهي (استوانيا، ليتوانيا، ولاتيفيا). ويظهر ان التطور المتلاحق والتدريجي الذي اتخذه الحلف كان يقابله تبني لاستراتيجيات جديدة ومتطورة وفقاً للمراحل التي تمر بها السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية، وهذا ما يبدو واضحاً من خلال تبني الحلف لاستراتيجية الحرب الوقائية[٢] ، وان تبني مثل هذه الاستراتيجية تتطلب مد اذرع عسكرية عديدة في انحاء مختلفة من العالم من اجل الضربة ، تحقيق النصر في هذه الحرب يعتمد على النجاح في ذلك ، وهذا شكل سبب اضافي لتوسع الحلف.

ومع كل هذه المبررات الامنية تأتي مبررات اقتصادية اخرى لتدفع باتجاه التوسع، فالانفاق العسكري للحلف يثقل كاهل البلدان الاعضاء ، فضلاً عن ان الدور العام لاوربا وعلاقاتها بالولايات المتحدة الامريكية تتطلب اعادة النظر في التوازن المالي (الاوربي-الامريكي) واشراك بلدان اخرى في هذا الانفاق.

ومن الجدير بالذكر هنا الاشارة الى الهوة الواسعة بين قطبي الناتو (امريكا واوربا) على صعيد الانفاق المالي للحلف ، حيث تنفق الولايات المتحدة ضعف ما تنفقه أي دولة عضو فيه.

ويبدو ان التوسع الاخير للحلف يغطي مناطق ذات مصالح حيوية للولايات المتحدة او على الاقل يجعلها في محيط السيطرة ، وكل ذلك يتم من خلال شبكة من

---

[١] المصدر نفسه ، ص ٢١.

[٢] وهي استراتيجية تبنتها الولايات المتحدة الامريكية وعممتها على الحلف ، وتقوم على ان الناتو يمكنه شن ضربات عسكرية اذا شعر بالتهديد واذا تم الاعتداء عليه ، وعلى الرغم من الرفض الذي واجهته هذه الاستراتيجية من بعض الدول الاعضاء الا ان الحلف سار باتجاه انشاء قوة تدخل سريع مكونة من (٢٠) الف جندي في تشرين الاول ٢٠٠٦ ،فضلاً عن انشاء وكالة يمكن لمختلف الدول الاعتماد عليها عند الحاجة للحصول على انظمة التسلح من اجل عمليات التدخل . للمزيد من المعلومات ينظر: اليساندرو فيجيس ، مصدر سابق ، ص٢٢.

القواعد والتحالفات العسكرية الهادفة للسيطرة على النفط، ويصبح هذا الامر دافعاً للتوسع اذا ما عرفنا ان احتياطي النفط غير المستغل موجود في الجمهوريات السوفيتية القديمة، مثل (اذربيجان، كازاخستان، تركمانستان) مع اختلاف الاوضاع في كل دولة والاختلاف الجيوستراتيجي في القوقاز.

وقد رأى بعض المحللين السياسيين ان انتشار الحلف في هذه المناطق انما جاء من اجل السيطرة على المواد الاولية والايدي العاملة والاسواق التي بدأت تتنامى في مجتمعات دخلت حديثاً الى اقتصاد السوق ، وهنالك تحليل اخر يقوم على ان برنامج انضمام الدول التي هي في مرحلة انتقالية الى حلف الناتو والى الاتحاد الاوربي من شانها ان تقوي دور الولايات المتحدة في الناتو ومن تاثيرها على الاتحاد الاوربي.

ومن خلال نظرة الى خريطة الاتحاد الاوربي والناتو يلاحظ ان ستة دول من بين (٢٧) دولة في الاتحاد الاوربي بقيت خارج الناتو وهذه الدول هي (النمسا، قبرص، فنلندا، ايرلندا، مالطا و السويد) وهذا الامر يظهر بالمقابل على عدم وجود خطة ورؤية استراتيجية موحدة لاوربا وامريكا باتجاه الحرب ضد الارهاب وحتى الحرب على

من كل ما تقدم يمكن ان نخلص الى حقيقة مؤداها ان توسع الحلف قد املته عوامل عديدة تاتي في مقدمتها عوامل تحقيق الامن القومي الامريكي ، وهنا لا يوصف بالاطار الوطني وانما بالاطار الكوني والذي يرافق ويتسع مع مصالح الولايات المتحدة وحليفتها اوربا.

المبحث الثاني: الموقف الروسي من التوسع

ان موضوع تمدد الناتو وعضوية دول اوربا الشرقية والوسطى في هذا الحلف اضحى اهم مسالة في العلاقات بين روسيا والغرب ، لاسيما وان هذا التمدد مس جوهر الامن القومي الروسي ، لذا كان متوقعاً ان تعبر روسيا عن ردود افعال تنم عن مخاوف امنية وتسعى في نفس الوقت الى ايجاد قنوات لاعادة ترتيب وتوطيد علاقاتها وبشكل جديد مع دول وسط وشرق اوربا.

---

(١) حسام سويلم، خلافات الناتو وانعكاساتها على منطقة الشرق الاوسط ، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام ، القاهرة ، نيسان ، ٢٠٠٢، ص ٤٥.

ويبدو ان المخاوف الروسية لها ما يبررها في هذا الجانب وفي التحليل السياسي الروسي فان تمدد الناتو يؤدي الى تقسيم اوربا الى قسمين ربما تكون بداية لانطلاق حرب باردة جديدة.

واذا ما اردنا التعرف عن كثب عن موقف روسيا من هذا التوسع فما علينا الا تتبع المواقف السياسية التي اتخذتها على العلن ازاء هذه القضية، ويمكن البدء في ذلك عند قمة وزراء خارجية دول الاطلسي الستة عشر في بروكسل في كانون الاول ١٩٩٤، والذي اعلن فيه على دراسة الاقتراح الامريكي بتوسيع الحلف ، ومن الواضح ان روسيا كانت تعارض بشدة طرح مثل هذه المواضيع ، لاسيما اذا كان الامر يتعلق بالتوسع لبلدان كانت ضمن التشكيلة السوفيتية قبل التفكك، ومع هذه المعارضة يبدو ان الولايات المتحدة قد نجحت في تخطي هذه القضية عن طريق اقناع الروس على توقيع وثيقة مع حلف الاطلسي في تموز ١٩٩٧ والمعروفة باسم (١٦+١) (وهي الوثيقة المؤسسة) تقوم بتصريف العلاقات الجديدة بين روسيا والحلف، وتم انشاء مجلس دائم اطلسي– روسي، وقد اعطيت موسكو حق المراقبة والمشاركة وليس حق النقض (الفيتو) على قضايا الحلف، وتطلب الامر ايضاً تعهد الحلف بعدم نشر اسلحة نووية او وحدات عسكرية مقابلة في الامد المنظور في اراضي الدول التي تنظم للحلف ومنحت روسيا ايضا مقعد في نادي الاغنياء المغلق جماعة(g7) والذي اصبح (g8) بانضمام روسيا اليه[١].

كل هذه الامتيازات التي منحت لموسكو اريد منها تهدئة المخاوف الامنية من جهة، وجعلها لاعباً ثانوياً مسانداً وليس معارضاً للتوجهات السياسية الجديدة للحلفاء.

وبالرغم من ان السياسة الرسمية لروسيا قد انتهجت سياسة الامر الواقع والتسليم بالتحولات الجديدة التي شهدتها اوربا، الا ان هذا الامر لم يحظى بالموافقة المريحة بل شكل تراجعاً ووهناً امنياً في الاستراتيجية الروسية الحالية والمستقبلية، هذا ما اكده وزير الخارجية الروسي ايغور ايفانوف عندما تحدث عن هذا الموضوع حيث قال (ان توسيع الحلف حدث حزين: وانه لن يتيح تدعيم الثقة والاستقرار في العلاقات الدولية ولكن على العكس قد يؤدي الى خطوط انكسار جديدة..)[٢].

---

[١] غسان العزي ، توسيع حلف الاطلسي وتعزيز الهيمنة الامريكية، مجلة شؤون الاوسط ، مركز الدراسات الاستراتيجية ، بيروت ، العدد٨٣، ١٩٩٩، ص ١٠٠.

[٢] المصدر نفسه ، ص ١٠١.

ويبدو ان هناك اتفاق عام بين كل التشكيلات الروسية في رفض توسيع الناتو، لكن عدم القدرة على ايقاف مثل هذه التوسع دفع الروس الى المهادنة ومحاولة تجنب مخاطر امنية اكبر ومن اجل الابقاء على نوع من الهيبة السياسية فقد اعلنت روسيا عن قيام (خط حمر) على الحلف ان لا يتجاوزه في تمدده[١].

ومع كل التحذيرات فان آلية التوسع للحلف قد اخذت مديات اوسع مما كان يعتقد ان تاخذها وربما يكون السبب في ذلك يعود الى اعتقاد القادة الاوربيون بان الوقت يعمل لصالح توسيع الحلف شرقاً شريطة ان يتم ذلك بالتدريج وبحذر ،ووفقاً لرأي زبيغنيو بريزنسكي (ان عملية التوسع يجب ان تتبع بطريقة تعطي لروسيا وقتاً تهضم فيه الحقائق الجديدة)[٢].

وازاء هذا الواقع الجديد لا ينبغي لروسيا سوى العمل على تعزيز قدراتها الدفاعية، لاسيما ان حلف الاطلسي يقترب شيئاً فشيئاً من حدودها القومية، حيث ان التوسع الاخير قد قلص المسافة بين الحلف وروسيا الى ٤٠٠ ميل وهو ما ينذر الروس بالخطر على امنهم.

وعلى وفق هذا السياق فان القيادة الروسية ركزت في سياستها العسكرية على استراتيجية دفاعية و على برنامج مكثف قائم على تحديث الاسلحة، لاسيما المضادات الجوية للطيران والصواريخ والغواصات النووية والبحرية الروسية، كل ذلك من اجل ايجاد نوع من الموازنة والردع تجاه تمدد الغرب[٣].

الخاتمة

توصلت الدراسة الى مجموعة من الاستنتاجات يمكن ايجازها بالاتي:

١. ان انشاء حلف شمال الاطلسي بين القوى المتوافقة (اوربا و امريكا الشمالية) بعد الحرب العالمية الثانية عنى ان سياسة تشكيل الاحلاف لازالت سياسة فاعلة قائمة على اساس تجميع القوى لمواجهة مخاطر جديدة ظهرت على الساحة الدولية.
٢. شكلت نهاية الحرب العالمية الثانية استمرار لنهج دفاعية اتبعت من قبل قادة البلدان الرئيسية في العالم وقد توجت هذه السياسات بتشكيل احلاف عسكرية اعلن بانها دفاعية

---

[١] المصدر نفسه ، ص١٠٢.

[٢] زبيغينو بريزنسكي ، حلف شمال الاطلسي ، خيارات التوسع ، مجلة شؤون الاوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية ، بيروت ، العدد ٨٣، ١٩٩٩، ص ١٠.

[٣] محمد دياب ، مصدر سابق ، ص ٢٧.

(حلف شمال الاطلسي وحلف وارشو)، هذا الامر اكد بما لا يقبل الشك بان سياسة التكتلات العسكرية القائمة بالنتيجة على مبدأ الامن الجماعي هي النهج السائد والمتبع في العلاقات الدولية.

٣. لقد برهن الانهيار الذي اصاب الاتحاد السوفيتي ومعسكره على حقيقة ان الاحلاف العسكرية لا يمكن ان تضمن بقاء الدول وتطورها، بل ان النهج السياسة والاقتصادية هي المعول عليها لتحقيق الامن والاستقرار للدول الاعضاء.

٤. ان الوظائف التي اضطلع بها حلف شمال الاطلسي من عسكرية و سياسية واقتصادية، انما اريد منها دفع البلدان الاعضاء في هذا التكتل لتحقيق غايات بالاساس هي سياسية ، و عليه فان الحلف تحول من مؤسسة عسكرية دفاعية الى تكتل متوافق اقتصادياً وسياسياً تجاه قضايا عالمية مختلفة.

٥. هيأت ظروف دولية شهدتها الساحة الاوربية (تفكك الاتحاد السوفيتي) لعملية تمدد حلف شمال الاطلسي نحو شرق ووسط اوربا ، وقد استغلت الولايات المتحدة الامريكية حالة الوهن الاقتصادي والسياسي الذي اصاب هذه البلدان في مرحلتها الانتقالية لعرض امتيازات كبيرة (اقتصادية) لجرها للانضمام الى الحلف، وقد نجحت في ذلك الى حد كبير.

٦. دللت خريطة التوسع لحلف شمال الاطلسي شغف اوربي وامريكي في الانتشار العكسري في كل اوربا ولهدف واضح تمثل بعدم السماح لاية قوة عسكرية اخرى (اوربية) في التكتل من جديد لمواجهة الحلف ، ويمكن ان نقرا ايضاً ومن خلال تطور سياسة الحلف ان التوسع اعتمد على اذرع عسكرية (قواعد) خارج نطاق اوربا ليشمل افريقيا واسيا ضمن سياق جديد للحلف لتطويق مناطق اعتبرها مناطق ازمات وتأزم مستمر.

٧. ان تنافساً وليس توافقاً بين الولايات المتحدة واوربا في قضايا السياسة الخارجية، هذه الحقيقة كانت تدفع وبشكل مستمر واشنطن الى تعزيز وتثبيت ادوار عسكرية للحلف، والتي تضم اغلب بلدان اوربا الفاعلة والقوية، ومرجع ذلك ان الهيمنة الامريكية تبدو واضحة داخل الناتو منها خارجه الامر الذي يجعله قناة للتواصل الامريكي مع اوربا.

٨. شكل التوسع قلقاً امنياً كبيراً للاتحاد الروسي لاسيما وانه يقترب شيئاً فشيئاً من الحدود القومية للدولة، وضم بلدان عدت سابقاً العمق الاستراتيجي للامن الروسي، ولهذا فان الموقف الروسي وبالرغم من المهادنة المعلنة لهذا التوسع بسبب عدم القدرة على مقاومته فهو يتضمن موقفاً معارضاً من هذه السياسة، وهذا ما نعكس وبشكل واضح

على النهج السياسي المغاير لهذا التوجه والطلب المتكرر لموسكو من واشنطن توضيحات اكثر لمديات التوسع.

٩. ان هدف الامن والاستقرار وتحقيق الديمقراطية شعارات رفعت من قبل الولايات المتحدة وتوافقت عليها الانظمة الاوربية وانيط بالحلف تحقيقها، واضيفت اليها اهداف اخرى صنعتها احداث سياسية متلاحقة كمحاربة الارهاب، ان هذه الشعارات ومحاولة تحقيقها جعلت توسع الناتو الى مناطق اخرى من العالم لاسيما الشرق الاوسط امراً مبرراً الى حد ما على الاقل من قبل اوربا وامريكا.

واخيراً يمكن ان نضع في التحليل النهائي استنتاجاً اضافياً يتمثل في القول ان نشأة حلف شمال الاطلسي وتطوره وتوسعه رسم في ذات الوقت مراحل تطور العلاقات الدولية طيلة نصف قرن، وهو بذلك ينقل صور واضحة لعالم ما بعد الحرب العالمية الثانية وما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وما بعد احداث ايلول /٢٠٠١ في الولايات المتحدة.

المصادر

اولاً: الاطاريح

١. نزار اسماعيل الحيالي ، دور حلف شمال الاطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ١٩٩٩.

٢. عباس هاشم عزيز، الحوار الاوربي المتوسطي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠١.

ثانياً : الكتب

١. كاظم هاشم النعمة، الوجيز في تاريخ العلاقات الدولية، جامعة بغداد، ١٩٩٢.

٢. رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين ، الجزء الثاني ، المؤسسة الجامعية للنشر ، بيروت ، ١٩٨٣.

٣. روبرت ماكنرا، ما بعد الحرب الباردة، ترجمة محمد حسين يونس ، دار الشروق للنشر ، عمان ، ١٩٩٠.

ثالثاً: الدوريات

أ – البحوث:

١. اليساندرو فيجيس ، مستقبل الناتو وتوسعه شرقاً وفي البحر المتوسط، مجلة السياسة الدولية ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة، عدد ١٥٢، ٢٠٠٣.

٢. بيير لولوش ، الوحدة الالمانية وتحديات ما بعد يالطا، ترجمة سوسن حسين، مجلة السياسة الدولية ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة، عدد ١٠٢، ١٩٩٠.
٣. زبيغينو بريزنسكي ، حلف شمال الاطلسي خيارات التوسع ، مجلة شؤون الاوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية ، بيروت ، العدد ٨٣، ١٩٩٩.
٤. حسام سويلم، خلافات الناتو وانعكاساتها على منطقة الشرق الاوسط ، مجلة السياسة الدولية ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة، نيسان ، ٢٠٠٢.
٥. طلال عتريسي ، توسيع الناتو ، مجلة شؤون الاوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية ، بيروت ، العدد ٨٣، ١٩٩٩.
٦. ممدوح انيس فتحي، اجراءات توسيع الناتو ، المشكلات والحلول المطروحة، مجلة السياسة الدولية ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة، عدد ١١٩، ١٩٩٥.
٧. محمد دياب ، توسيع الناتو وحرب البلقان ، اهداف استراتيجية وجيو سياسية، مجلة شؤون الاوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية ، بيروت ، العدد ٨٣، ١٩٩٩.
٨. مصطفى نبيل احمد ، روسيا على مائدة الاطلسي ، مجلة الدفاع المصرية، مؤسسة الاهرام ، القاهرة، عدد١١، ١٩٩٥.
٩. محمد فريد حجاج ، القوى الدولية في مطلع القرن الحادي والعشرين ، مجلة الدفاع المصرية ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة، عدد١٩، ١٩٩٥.
١٠. نجلاء محمد نجيب، مستقبل العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد الاوربي، مجلة السياسة الدولية ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة، عدد ١٢٧، ١٩٩٧.
١١. شفيق المصري ، الاطلسي والمعادلات الجديدة، مجلة شؤون الاوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية ، بيروت ، العدد ٨٣، ١٩٩٩.
١٢. غسان العزي ، توسيع حلف الاطلسي وتعزيز الهيمنة الامريكية ، مجلة شؤون الاوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية ، بيروت ، العدد ٨٣، ١٩٩٩.

رابعاً: التقارير والنشرات

١. الناتو بين الامن واليوم والمستقبل، صحيفة دير شبيغل الالمانية ١٩٩٧/٣/٣.
٢. روسيا وحلف الاطلسي، نشرة تقديرات استراتيجية، الدار العربية للنشر والترجمة، القاهرة، العدد ١٦، ١٩٩٥.

Books

1. John Lewis Gaddis , The United State and The Origins of The Cold War , 194-1947, New York , Columbia University press , 1972.

Perodics

1. Arthur CYR , Turkey and The West Perceptions , Journal of International Affairs , Vol.1, No.3, Sept. , 1996.
2. Defining NATO'S Aims , The Economist . U.S.A , April , 1991.
3. Uif Hlertonssous , Sweden's foreign policy strategic Analysis, Vol. XIX , No.1, April , 1996.
4. Rajyasri Roychowihuny , NATO'S East ward Expansion, strategic Analysis , , Vol. XIII , No.1, April , 1995, P.76.